

من خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع

وَقَدْ رَوَى أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَمَدَ اللَّهَ تَعَالَى وَاتْنَى عَلَيْهِ ،
ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا قَوْلِي ، فَإِنِّي لَا أَذْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ دِمَاعَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَيَّ أَنْ تَلْقُوا رَبَّكُمْ ، كَحَرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَكَحَرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَأَنْكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ، وَقَدْ بَلَّغْتُ ، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا ، وَإِنْ كُلُّ رِبَاٍ مَوْضُوعٌ ، وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ ، لَا تَظْلَمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لَا رِبَا ، وَإِنْ رِبَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ ، مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، وَإِنْ كُلُّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَإِنْ أَوْلَى دِمَائِكُمْ أَضْعَفُ دَمِ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ ، وَكَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ ، فَقَتَلْتَهُ هَذِيلٌ ، فَهُوَ أَوْلَى مَا أَبَدُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ . أَمَا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَسَّسُ مِنْ أَنْ يُعْبِدَ بَارِضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا ، وَلَكِنَّهُ إِنْ يَطَّعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ النُّسْيَةَ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهَا الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ، لِيُؤَاطِنُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنْ عِدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ وَرَجَبٌ ^(١) مُضَرٌ ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ . أَمَا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوَطِّنَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذَنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ ، فَإِنْ انْتَهَيْتِ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكُنَّ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا ، وَأَنْتُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، فَأَعْقَلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي ، فَإِنِّي قَدْ بَلَّغْتُ ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا ، أَمْرًا بَيْنًا ، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ . أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقَلُوا ، تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ ، فَلَا يَحِلُّ لِمَرِيءٍ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أُعْطَاهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، فَلَا تَظْلَمَنَّ أَنْفُسَكُمْ ؛ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ »

وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اللَّهُمَّ أَشْهَدُ » .

السيرة النبوية لابن هشام

(١) رجب مضر : انما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم رمضان ، وتسميه رجباً ، فبين عليه السلام انه رجب مضر لا رجب ربيعة ، وانه الذي بين جمادى وشعبان .